

تغييرات المدن بين تحديات التجديد والمحافظة على الأصالة في المدينة الجزائرية

- قصر تمرين و مدينة علي منجلي نموذجاً -

د.بناني نرجس: استاذة مساعدة قسم "ب" المدرسة العليا للأساتذة – سطيف

bennani.nardjes@yahoo.com

ملخص :

في ظل تزايد الاهتمام العالمي والمحلي بضرورة تحقيق التخطيط الحضري المستدام وتنمية المدن من خلال بناء استراتيجيات حديثة .

يناقش بحثنا إشكالية الصراع بين تخطيط وتنفيذ مدن حديثة على حساب هوية وأصالة المجتمع التي تتجسد في المدينة و ومبادئ التخطيط الحضري المستدام على الصعيدين العمراني والمعماري للمدن مما قد يفقدها طابعها وهويتها المحلية ومن أهم مظاهر هذه مظاهر الإشكالية : التشابه والخلط في التطبيق غير المدروس بين المخططات العمرانية الجديدة في العديد من المجالات على الرغم من تباين خصائصها المكانية وأهدافها العمرانية وأبعادها التراثية. و تأتي أهمية البحث في تحديد تغييرات أهداف التخطيط الحضري المعاصر للمدن ما بين الأصالة و المحافظة والفقد والإهمال المتعمد لها أو القضاء عليها كلياً من أجل بروز مدن جديدة فاقدة لهويتها بدون أي انتماء لمجالها الأصلي.

تبحث الورقة تغييرات المدن من جانب الهوية الحضرية بين قيم الأصالة والحدثة في ظل التغيرات السوسيو - ثقافية للمجتمع الجزائري بطرحنا للتساؤلات الآتية:

- ما هي أسباب التغييرات التي تعرفها المدن وما التحديات التي تنعكس عنها وما تأثير ذلك على هويتها؟
- هل يمكن للمدينة أن تستوعب النمطين: الأصيل والحديث في وعائها ؟ وهل لا يحدث ذلك شرخاً في وحدتها العمرانية المعمارية ؟

يركز البحث على التحديات التي تعرفها المدينة في سبيل المحافظة على هويتها والتي تعمل على إفقادها بريقها الحضاري الذي يتغذى باستمرار من دفعة المجتمع الثقافية الاجتماعية، وذلك في ضوء تأصيل القيم الحضارية في التخطيط الحضري المعاصر في واقع الهوية العمرانية المعمارية للمدينة. ويتخذ في ذلك مدينتي غرداية وعلي منجلي بقسنطينة نموذجاً.

الكلمات الدالة:

التخطيط الحضري المعاصر، المخططات العمرانية، الهوية العمرانية، الطابع المحلي، قصر تمرين-غرداية ، مدينة علي منجلي قسنطينة.

Résumé:

Compte tenu de l'intérêt mondial croissant dans le local et la nécessité d'assurer la planification urbaine et le développement durable urbain grâce à la construction des stratégies modernes.

Cette recherche discutera la problématique entre la planification et la mise en œuvre des villes modernes, au détriment de l'identité et l'authenticité de la communauté incarnée dans la ville et les principes de l'aménagement urbain durable dans les cotes urbaines et architecturales, qui pourrait perdre son caractère et son d'identité locale, cette problématique s'exprime par la similitude et la confusion dans l'application hasardeuse des nouveaux plans d'urbanisme dans de nombreux domaines, malgré la divergence de leurs caractéristiques spatiales, objectifs urbains et les dimensions patrimoniales.

L'importance de la recherche s'inscrit dans la détermination des changements des objectifs de l'urbanisation moderne des villes : entre originalité et préservation, et la perte et la négligence autrement dit son élimination entièrement ce qui permet l'émergence des nouvelles villes dépourvue d'identité et sans appartenance à la région d'origine.

Ce document examine les changements dans les villes d'après l'identité urbaine entre valeurs de la tradition et modernité à la lumière des changements socio-culturels de la société algérienne, en posant des questions suivantes:

- Quelles sont les raisons des changements que connaît les villes ? et quels sont les défis qui y sont reflétés et l'impact sur leur identité?

- La ville, peut-elle englober deux modes: authentique et moderne dans son corps? est-il possible que ceci influe son équilibre urbano-architectural?

A la lumière de l'enracinement des valeurs culturelles dans la planification urbaine contemporaine dans la réalité de l'identité architecturale urbaine concernant la ville, cette recherche accentue sur les défis que rencontre la ville afin de préserver son identité, et qui influent son éclat civilisationnel expédier de façon continue de la poussée socioculturelle de la société, et prenne comme modèle les villes : Ghardaïa et Ali-Mendjelia Constantine

Mots clés:

Planification urbaine moderne ; Plans d'urbanisme ; Identité urbaine ; Cachet local ; Ksar Tinemmirine-Ghardaïa ; la ville Ali mendjeli-Constantine.

المقدمة

تواجه مجتمعاتنا العربية في الوقت الراهن النموذج الحضاري الغربي الذي اصبح يشغل مكانا مركزيا في وجدان الكثير من المفكرين والمخططين والمهتمين بتنظيم المكان وفضاءاته ، وليس من المستغرب أن يحقق نموذج حضاري له مقدرات تنموية وتنظيمية قوية انتصارات باهرة على المستويين المعنوي والمادي، بل يتعدى الأمر حتى لتصدير ملامحه للمجتمعات الأخرى التي لا تقوى على خلق اسباب تغييرها والمحافظة على شخصيتها.في هذا السياق يأتي بحثنا ليتناول موضوع الهوية في تخطيط المدينة العربية عموما والجزائرية تحديدا، من منظور الخصوصية العمرانية التي تتمتع بها غالبية المدن في عالمنا العربي من تطابق و تقارب في الملمح بل حتى في الجوهر (المدن العتيقة المنتشرة عبر رقعة العالم العربي) ، وذلك من أجل تخطيط عمراني يبني يعكس روح وطابع المدينة ،ويوضح الفروق والدلالات السائدة بين الواقع والمنظور بتطبيق التخطيط الحضري المعاصر وفق مبدئي الأصالة والحدثة.

1. المشكلة البحثية :

تتمثل المشكلة البحثية في: محدودية وضوح الصورة العمرانية -المعمارية التي لا تعرف حدا للتغير مع تتطور مجتمعتها، حيث باتت لا تعكس هوية المدينة العربية بصفة عامة والجزائرية على الخصوص، والتي لا تتناسب مع قيمتها الحضارية ومكانتها التي عرفتها عبر التاريخ مما يدفعنا للتساؤل عن الأسباب الفاعلة التي أوصلتها لهذه الوضعية المتدنية من اوجه عديدة تكاد تعصف بثقافة المجتمع بل تعيد تشكيله وفقا لثقافة أخرى تنم عن نمط تخطيطي يجانب في أبعاده الانسانية والثقافية والبيئية مبتغى المجتمعات العربية بصفة عامة. وللإجابة عن هذا الانشغال ننطلق من الفرضية التالية : المزج الغريب لواقع تطبيق انماط مختلفة من التخطيطات الحضرية في حيز واحد بحثا عن الحدثة يؤدي لتشوه في مشهد المدينة وتضارب في مكونات صورتها العمرانية والمعمارية مما يفقدها هويتها.

2 . منهجية الطرح :

ننطلق بداية من الاتفاق على بعض المفاهيم التي سنستعملها لتفكيك الموضوع، معتمدين في ذلك على رؤى مختلف الباحثين ، ثم نستعرض واقع المدينة الجزائرية على غرار المدينة العربية ، نحاول استقراء المشكلة من خلالها وتأكيدا عبر نماذج من تلك المدن ، نحاول بعد ذلك التفتيش في مضامين المفاهيم الدالة على عناصر الهوية العمرانية -المعمارية لنسقط ذلك على تلك النماذج ونصل بذلك لمكان الخلل لنؤكد فرضيتنا التي انطلقنا منها ونحاول رسم منظور للمدينة مستقبلا على ضوء التخطيط

المعاصر الذي يمزج بين النمطين الأصيل والحديث في مقاربة لا تنفي ابعاد الانسان في بنيته المكانية ودلالاتها المتعددة المتكاملة. ونتخذ في ذلك مدينة علي منجلي بقسنطينة وقصر تتمرين بغرداية نموذجين للتخطيط الحديث نستقرأ بواسطتهما الإشكالية المطروحة واقعا ونبحث من خلالهما الحل الممكن والناجع في المكان والزمان.

3. الإطار المفاهيمي للبحث:

1.3. الأصالة: يعتمد الباحثون في مفهوم الأصالة الى تعريفها إلى شتى التعريفات التي تتراوح ما بين الاصطلاحي منها وما بين الايديولوجي، ومن أهم تعريفاتها إن الأصالة هي التي تعبر عن الأنماط التقليدية و الماضية في التعامل مع كل الأشياء. (دينيس شارب، 1995، ص 76)

2.3. المعاصرة: ظهر هذا المفهوم مع بواذر الثورة الصناعية ، فالتطور الاقتصادي و الزحف العمراني جعل استخدام تقنية البناء الحديثة أمر لا مفر منه. كما أن انتقال السكان من المدينة القديمة إلى الحديثة التي لا تحمل سمات شخصية مجتمعها و لا تجسد أبعاده الاجتماعية والثقافية، وهذا سعيًا و أملا في اكتساب شيء مجهول ، و هذه دعوى الحداثة و المتمثلة في عمارة دولية تفرض أن تساوي متطلبات الشعوب إلا أنها بموقفها الشمولي هذا تجاهلت الخصوصية الإقليمية، فالمعاصرة بالنسبة لنا ليست بديلا عن الأصالة و لكن ينبغي استلهاً المفيد من أصالتنا و صهره بصدق في مدننا(بدران بن لحسن ، 2007، ص 356).

3.3. الهوية: تلعب دورا رئيسيا في رسم ملامح العمارة المعبرة عن المجتمع حيث تعتبر الهوية هي المعيار الرئيسي لقياس مدى نجاح عمران المجتمع. و بناء على ذلك فانه يمكن القول أن الهوية المعمارية تنشأ نتيجة لتوظيف عناصر محددة، لذلك تعتبر البيئة المبنية وسيلة فعالة يستطيع من خلالها المجتمع أن يؤكد هويته و تميزه بين المجتمعات الأخرى. في هذا السياق دعا (حسن فتحي) منذ السبعينات الى الاتجاه نحو العمارة والهوية من حيث الكتل و الفراغات، حيث بدأ بالعمارة الريفية التي أنشأها الفلاحون الفقراء، و تتجلى هوية الأمة من خلال اللغة و الثقافة و العقائد و تعكس هويتها على العمران و التراث، و لذلك فان البحث عن هوية العمران هو البحث عن هوية الأمة(بهنسي عفيف، 1997، ص 52)

4.3. الطابع الحضري: المقصود منه هو مجموعة الصفات المركبة التي تميز مدينة أو مكانا بذاته، والتي تميزها في علاقتها مع الموقع والتاريخ، يساهم الطابع الحضري في تحديد هوية المدينة، مما يسمح بتناول مسألة النوعية الحضرية ومميزاتها. و هناك بعدان أساسيان للطابع العمراني: (خليل أسامة، 2011، ص 43)

- البعد الثقافي الحضري: الذي يضم المجتمع و انشطة السلوكيات وغيرها.
- البعد المادي: الذي يعتمد على المكان والبيئة والمحيط من ناحية اخرى.

4. العمران بين فكر الاصاله والمعاصرة: يعد علم العمران بمثابة النافذة المفتوحة على حضارة الشعوب و يعتبر كأداة للتعبير الفكري والثقافي والحضاري كما يحدد إطار النمو الحياتي و كيفية تنميته من جميع النواحي (الاجتماعية، الاقتصادية...)، لكل مجتمع حضارته التي تتمثل في قيمه العليا والتي هي غاياته، أما المدينة فهي وسائله وتطبيقاته في واقع الحياة. (المسيدي عبد الوهاب المسدي و التريكي فتحي التريكي، 2003، ص12) فالعمران والاسس العمرانية السليمة هي التي تستمد أصالتها من بيئتها فلكل مجتمع عاداته و تقاليده وبيئته الخاصة. وعلى غرار هذا نجد الدول النامية و من بينها الجزائر، غالبا ما تعتمد على تبني التشريعات العمرانية الغربية كوسيلة لحل مشاكلها العمرانية و المعمارية و هذا ما تجسده وسائل التهئية والتعمير "مخطط التهئية والتعمير، مخطط شغل الارض" والتي هي تصاميم تبلورت في بيئات و اوساط غريبة عن الحضارة الاصلية دون الاخذ بعين الاعتبار المقاييس العمرانية والمناخية الملائمة للتخطيط المجالي لكل منطقة.

لقد تم تطبيق مضامين تلك المخططات على مدننا ذات الهوية التاريخية والأصاله العمرانية المميزة، والا كيف يمكن قراءة تشوه المدن والواجهات العمرانية باختلاط القديم بالحديث وظهور مدينتين في المدينة الواحدة (مدينة قديمة، مدينة حديثة). فعلى سبيل المثال لا الحصر : مدينة قسنطينة التي احتوت على مدينتين بمدينة واحدة: المدينة القديمة التي تكاد تزول والمدينة الجديدة علي منجلي الحديثة المنشأ. فلكل مدينة طابعها العمراني الذي يجعلها تختلف عن بقية المدن، غير أن اختفاء واختلاط مميزات تلك المدن أحدث الازمة الحضريه الحالية التي تظهر في تراجع ملامح الأصالة وعناصر هوية المدينة ليس فقط بالجزائر، و بروز مدن هجينة لا تمتلك سمات ولا طابع يمكن من التعرف عليها سوى الخلط بين الوظائف والأشكال والصور وما الى ذلك مما بشوه مشهد مدينة في الألفية الثالثة.

1.4. الهوية بين الاصاله و المعاصرة: بين الأصالة والمعاصرة عامل مشترك في العمارة والعمران وفي التخطيط الحضري بصفة عامة وهو المقياس الانساني المتمثل بالقيم الروحية و القومية و المادية في العمارة المعاصرة، (جلال عباده، ابريل 2006، ص8). فإذا استطاعت المعاصرة أن تحافظ على هذا المقياس يمكن التأخي بين الاصاله والمعاصرة ممكنا، فيمكننا القول أن المعاصرة ليست انتهاكا للهوية بل بإمكاننا التعدد بالأفكار والطابع الإبداعي لنشكل عمارة حديثة بمبادئ هوية محلية، أما اذا فرضنا هوية محددة على عمارات العالم بتطبيق غير عقلاني فقط بهدف سد الفجوات و حل المشاكل المؤقتة

من أجل سياسات مؤقتة فهنا لا يمكننا القول أن المعاصرة بهذه الطريقة هي انتهاك و تعدي تام على هوية المجتمع والفرد من خلال استيراد افكار لا تعكس واقعه ولا تساعد بالانماج مع مجالات وأفكار مستوردة بعيدة كل البعد عنه وعن مبادئه ومعتقداته الخاصة.

2.4. الحداثة العربية المعاصرة: إن المشهد الحالي يظهر ملامح أو أنماط متشابهة للواقع المعماري الجديد في الوطن العربي منذ مطلع التسعينيات وحتى الآن. يتسم هذا الواقع بتعبيره القوى عن عوامل التغيير الحضارية المتداخلة للمجتمع العربي منذ فترة الثمانينيات وحتى الآن، واحتوائه على عدد من التحولات المعمارية المتلاحقة كنتيجة مباشرة لذلك، وكانعكاس للتحولات في العمارة العالمية في العقد الأخير. وبالطبع لا يمكن إدراك أو قراءة المشهد المعماري الحالي إلا بفهم السياق الحضاري الذي صنعه مكانياً وزمناً وشكل معالمه وأركانه ويسلط الأضواء على حركة شخصه. وبالتالي فإن التساؤل هنا يصبح عن مدى استمرارية دور العمارة العربية كتجسيد مادي للمتغيرات الثقافية المجتمع العربي وتغير منظومة القيم الحاكمة له ولتركيبته الاجتماعية المعقدة وظروفه الحضارية الراهنة، كما يصح التساؤل عن مدى إدراك وتقدير قيمها المعنوية والرمزية بين رؤية النخبة المثقفة العربية والتذوق الجماهيري أو الشعبي السائد للعمارة المعاصرة وفهم ودورها في نهضة المجتمعات وصناعة مستقبلها.

ويمكن القول بأن هذه المرحلة قد أثمرت عن إرساء علامات هامة لتطور العمارة العربية المعاصرة تمثل ركائز أساسية "الحداثة العربية المعاصرة" وتتلخص في الآتي:(جلال عباده، ابريل 2006، ص8).

* تقييم وتنقية التراث المعماري العربي واستخلاص ثوابته الحضارية ومدى ملائمتها للمتغيرات الاجتماعية الثقافية والتقنية ومتطلبات التحديث التقني.

* ضرورة بتوافق الأعمال المعمارية مع السياقات المحلية كارتباطها بالواقع البيئي والمناخي أو الخصوصية الثقافية والاجتماعية أو تقنيات البناء السائدة.

* التعبيرات الإقليمية الملهمة في اطار الابتكار والتجديد في لصناعة تشكيلات وتكوينات معمارية حداثية معاصرة ومعبرة عن شخصية البيئات المحلية سواء تلك تعتمد على التقاليد التراثية كمراجع تصميمية للاستحاء والاستلهم أو الأعمال التي تجتهد في خلق عمارة أصلية تتسم بالتفوق والامتياز في التعبير المعماري.

* طرح مفاهيم معمارية جديدة تتعلق بعلاقات الشكل والفراغ والتعبير الرمزي يمكن تطبيقها على نطاق واسع وتتمتع بتأثيرات معمارية إقليمية أعمق وأشمل.

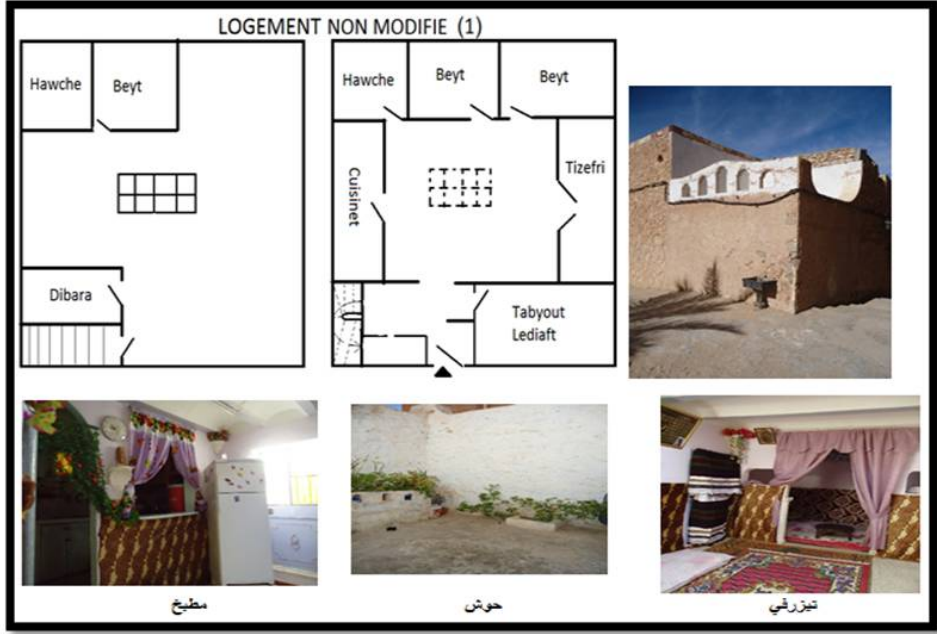
5. التوجهات الفكرية المعاصرة بالتخطيط الحضري في المدينة بالجزائر:

1.5. هل الأصالة استنطاق للممارسات العمرانية والمعمارية أم تطوير لها؟:

تأثرت اتجاهات العمارة العربية خلال العقدين الماضيين بالتغيرات الحضارية المتتالية التي شهدتها البلاد العربية بدرجات متفاوتة. وقد ركز الإطار الفكري لهذه الاتجاهات، والتي تضمنت أيضاً أعمال بعض المعماريين الدوليين والمؤسسات الاستشارية الأجنبية العاملة في الدول العربية، على صياغة خطاب فكري حدائي يتسم بالتعددية، وأحياناً بالتناقض في بعض نواحيه، للخروج من الجدلية العربية "الأصالة والمعاصرة أو التقليد والتجديد" والتي تتلخص في حتمية الالتزام بالتقاليد الأصيلة للعمارة المحلية الموروثة في مقابل الانحياز إلى التجديد والابتكار الذي تفرضه العمارة العالمية الواردة بكل أشكالها وتنوعاتها. ويظهر ذلك في المساهمات الهامة لتأصيل نظرية معمارية عربية معاصرة تستند إلى مراجعة وإحياء التقاليد المعمارية وتأصيل تراث العمارة العربية وتطويره من خلال طروحات مختلفة كما هو الحال بمدينة غرداية بالجنوب الجزائري الذي لا تزال محافظة على تاريخها وأصالتها و نمطها المعماري المتوارث من الأجيال السابقة من خلال ترسيخ تخطيط حضري محلي يخدم معتقدات تلك المنطقة التي لازالت مستمرة بتخطيطها الفريد لحد الآن ، فأفكار أصحاب القرار و المشاريع المنجزة بمدينة غرداية تحديدا تستوفي القيم الأصيلة و الهوية العمرانية و الفكرية من خلال تخطيط مدينتهم بالنمط المناسب للمنطقة و لسكانها بالدرجة الاولى لاحتوائها البعد الثقافي الحضاري الذي يضم أنشطة المجتمع بتلك المدينة و سلوكياته المكتسبة حديثا و المتوارثة محليا (البس احمد عبد الحميد، 2014، ص15)

فلا يزال تخطيط مدنهم على حاله من خلال بناء قصور بنفس الفكرة القديمة لكن التحديث بارز في مواد البناء و كيفية التطبيق ، دون اغفال معايير التخطيط الذي ترتبط بخصوصية الواقع البيئي والمناخ السائد هناك ، كما هو موضح بمخطط مكونات قصر تتمرين "مخطط 01"، حيث من طبيعة المنطقة والقصر يتميزان بارتفاع درجات الحرارة فلا يمكن تشييد بناء معاصر ذو عدة طوابق فهو لا يتناسب مع مفاهيم تفكير السكان و العادات و المسكن أيضا ، حيث لا تزال المبادئ و المفاهيم و العلاقات مترابطة بهوية المنطقة التي تعكس ثقافة و عراقة السكان و المدينة ككل.

شكل (1) نموذج عن منزل لم يتم تغيير اي جزء به بقصر تتمرين بمدينة غرداية



المصدر: معاينة ميدانية ماي 2017.

بإمكاننا القول ان مدينة غرداية بمختلف قصورها مازالت متمسكة لحد الان بإرثها التاريخي و هويتها العمرانية و المعمارية ، تمسكت بالقيم الاصلية التي تتلاءم مع نمطها المميز لتتحول لجنة على سطح الأرض من خلال جمالها العمراني والعمراني وهدوئها وتناسقها البسيط المميز، وبإمكاننا ايضا القول ان التخطيط الحضري بمدينة غرداية تحديدا نجح نجاحا ملحوظا و متميزا وحقق اهدافه السياسية والاجتماعية و حافظ على هوية المدينة الخاصة بها الذي اثر ايجابا على مردودية و انسجام سكانها بها من خلال المحافظة على نظافتها و الاهتمام بها بشكل شخصي، و ذلك بالحفاظ على اصالتها و نمط و نوع مواد بناءها كما نلاحظ بالصور 01، فقصر تتمرين تحصل على رضى السكان المحليين من خلال استفسرنا واستطلاعنا لآراء سكانه حول درجة رضاهم فكما لاحظنا ان اغلبية السكان يؤكدون انهم راضيين عن اصالة و هويتهم قصرهم و مدينتهم، فكل من يقصدها ينبهر بتميزها الفريد.

صورة رقم:01 صور مختلفة لقصر تتمرين



المصدر: معاينة ميدانية ماي 2017.

6. تخطيط مدينة قسنطينة بين التقليد الاعمى و التجديد:

تختلف مدينة قسنطينة عن باقي المدن الجزائرية باعتبارها بمدينة تاريخية مر لها العديد من الحضارات، فقد تمت محاولات عديدة لتأصيل نظرية معمارية عربية معاصرة تستند إلى مراجعة وإحياء تراث العمارة العربية وتطويره وتأصيل القيم الحضارية في عمارتها من خلال العديد من التجارب التي عرفتها المدينة القديمة لتحقيق ذلك ، ولعل ما حدث بتظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية عام 2015 حيث تطلب تطوير امكاناتها والمعمارية السياحية وتنميتها.

وإذا كانت المدينة قد عرفت قبيل هذه التظاهرة عمليات إعادة تأهيل وإعادة اعتبار للنسيج المبني المتدهور والبنائيات المتواجدة على المحاور الرئيسية والواقعة على طول المشاريع المهيكلية للمدينة، فإن الاهتمام هنا ظهر من خلال الغلاف المالي الذي خصص لهذه العملية مبلغ مالي قدره 7.7 مليار دينار جزائري، ممول من طرف الصندوق الوطني لدعم السكن بالإضافة إلى إشراك المواطن ماديا

بطريقة غير مباشرة من خلال الضرائب على السكن، وهو ما ساعد على تحقيق العملية كما شمل بصفة توافقية للتمويل لـ 434 بناية و 63 أخرى أوكلت مهامها إلى 21 مكتب دراسات وطني منهم 16 مع مكاتب دراسات أجنبية متخصصة في هذا المجال (مديرية السكن لولاية قسنطينة، 2014)

ورغم أهمية هذه العملية إلا أنها في رأينا لم ترقى للمستوى المطلوب، حيث تميزت عموما بالسرعة و ضعف التخطيط والتنسيق إضافة إلى غياب النوعية في الانجاز، فاقصر الأمر على عمليات سطحية غالبا ما تعلق بالطلاء الخارجي للبنىات كما تظهره الصور 2.3، كما لوحظ توقف عمليات ترميم البنايات ذات الطابع الديني التي تشكل قيمة كبرى للموروث الحضاري في المدينة، وهو ما لم يخدم الهدف المسطر والتوصلي في الزمان لهذه العملية، ومع ذلك يمكن القول أن ذلك لم يلغي نهائيا الدور الإيجابي لتحسين الصورة الأنية للمدينة أثناء الحدث الثقافي.



بعد 2015

قبل 2013

المصدر: الصور (3.2): مديرية السكن لولاية قسنطينة نوفمبر 2014

1.6 المعاصرة المحلية:

توضح القراءة السابقة أن التحولات المعمارية قد هدفت في معظمها إلى مواكبة التغييرات في التوجهات السياسية والاقتصادية والواقع الاجتماعي العربي المعاصر والأساليب الإنتاجية والنواحي التقنية. وتنام هذه التوجهات المعمارية في معظمها نحو الحداثة والمعاصرة و التي اعتمدت غالبا - باستثناءات محدودة - على تقليد نماذج حداثة غربية تختلف في سياقها الحضاري والثقافي والاجتماعي عن تلك التقاليد المعمارية المتوارثة كتعبير عن مظاهر المعاصرة والتحديث، دون محاولة تطوير نماذج إحدائية محلية ملائمة لتنوع السياق الاجتماعي العربي وتعبير عن التطور المعاصر للمجتمعات

العربية. وفي ذات الوقت ظهرت ملامح للصراع الفكري بين هذه الاتجاهات الحداثية الوافدة وبين التقاليد المعمارية المتوارثة والذي اتخذ صور جدلية كثيرة فيما سمي بجدلية "العمارة المحلية بين الأصالة والمعاصرة" أو "التقاليد والحداثة" و"الهوية الوطنية بين التقليد والتجديد" والطابع القومي بين الاستمرارية والتغيير.. الخ. (النجدي، حازم راشد، 2001، ص 24)

وقد استمرت هذه المناقشات طويلاً دون أن تسفر عن الوصول إلى صيغ توافقية أو وسطية محددة. وأفضل مثال على هذه الحالة هو حالة طرح إعادة هيكلة أو القضاء على مركز إعادة التربية و التأهيل المتواجد بوسط مدينة قسنطينة العتيقة فقد حدث الكثير من الجدل حول اتخاذ قرار يخصصه سواء بهدمه أو إعادة هيكلته أو تحويله لمتحف باعتباره شاهد على التعذيب الذي عاشه مجاهدي وشهداء حرب التحرير وكل ما حصل ابان مرحلة الاستعمار الفرنسي للجزائر وما بين منددين لإعادة هيكلته والقضاء عليه من مبدأ التجديد والحداثة واستعمال موقعه الاستراتيجي بهياكل ومرافق تخدم مواطني سكان قسنطينة بالدرجة الاولى. ولشدة الطرح الحاصل بهذه القضية حاول كلا الطرفين الممثلين في المندبين بالمحافظة على هذا الهيكل كارث عمراني ضل صامدا ابان الاستعمار الى الان و ما بين الذين يطالبون بالحداثة والعصرنة و المضي قدما وعدم البكاء على الاطلال ، تدخل بالأمر كل من المجتمع المدني و كل من الجمعيات المتعلقة بحماية التراث او التي لها علاقة بمدينة قسنطينة ليشكلوا جبهتين شديديتي القوة كل يطالب بأخذ رايه باي قرار تتخذه السلطات المحلية ، ومع تدخل الاعلام المحلي تصاعد الامر ولم يتم اخذ اي قرار و اجل الامر عدة مرات مع تغير المسؤولين على المدينة من جهة وعدم جراءة اخذ اي قرار من طرف المسؤولين بقي الامر على محله و معلقا و لحد الان لا يزال مركز اعادة التربية و التأهيل متواجدا بوسط المدينة القديمة لمدينة قسنطينة(بناني نرجس، نجيب عراب، اكتوبر 2017)

2.6 الحداثة والتجديد:

وعلى الجانب الآخر، فقد تناولت أفكار أخرى الترويج لتأسيس نظريات حداثية جديدة تعتمد على مواكبة المتغيرات العالمية في الفكر والفن والعمارة في اطار خصوصية ثقافية عربية(بهنسي عفيف، 1997، ص94). ظهرت بوضوح في نمط و مواد إعادة تأهيل دار الثقافة محمد العيد آل خليفة و تحويلها لقصر الثقافة - قسنطينة، فلاحظ للعيان ان الشكل المضاف لمدخل دار الثقافة صورة رقم 5 ، لا يمت بصلة للثقافة المعمارية العربية بل هو بيزنطي بامتياز و لا يعكس ابدا هوية المرفق كما كان من قبل بالصورة رقم 4 ذو نمط و بناء محلي و بهوية محلية .

صورة (4): دار الثقافة محمد العيد ال خليفة قبل 2012



المصدر: مديرية التجهيزات العمومية لولاية قسنطينة نوفمبر 2017.

استمرت محاولات تطبيق تخطيط حضري محلي معاصر بمدينة قسنطينة من خلال إنجاز فندق 5 نجوم "الماريوت" ذو طابع معماري مغاربي صورة رقم 6، حيث تقدر طاقة استيعابه بـ 1200 سرير يضم 180 غرفة و 10 أجنحة رئيسية و مطعمين فاخرين بسعة 200 فرد

صورة (6): فندق الماريوت



المصدر: مديرية السياحة لمدينة قسنطينة 2017

إلى جانب حضيرة سيارات بـ 300 سيارة تقريبا بالإضافة لكونه يضم فضاءات راحة و تسلية و مساحات خضراء و مسابح و ملاعب تنس. تمتاز هذه المنشأة بطابع معماري عربي مغاربي يتكون من 5 طوابق بمساحة 132500م²، قدرت تكلفة إنجازه بـ 9 مليارات دج ذو صنف 5 نجوم تابع للسلسلة العالمية الأمريكية للفنادق (مديرية السياحة لولاية قسنطينة، 2017)

7. مدينة علي منجلي ، نموذج الحداثة المشوهة :

تشهد المدن الجزائرية لاسيما المدن الكبرى منها نموا سكانيا سريعا لم تستطع السلطات المحلية التحكم فيها بفعل التدفقات السكانية الريفية، مما نتج عنه حدوث تحولات حضرية على جميع المستويات (الاجتماعية، الاقتصادية، والعمرانية) أدت إلى ظهور العديد من المشاكل الاجتماعية الاقتصادية، والعمرانية، هذه الوضعية تستدعي إعادة النظر في مختلف السياسات الرامية إلى تنمية وتخطيط عمراني متوازن. وفي هذا الاتجاه ظهرت في المدة الأخيرة عدة قوانين ومخططات عمرانية وأدوات للتهيئة والتعمير لم تساعد بتخطيط حضري يخدم المواطن و سياسة البلد معا

فالمدينة الجديدة جاءت من مبادرة محلية وأنجزت بوسائل محلية وتمويل محلي، لتنفيذ مخطط مستورد بالأصل من مدينة فرنسية بمبادئ وافكار غريبة كليا عن المجتمع القسنطيني، رغبة من السلطات بتخطيط حضري معاصر يتناسب مع العصرنة و الحداثة إلا أن هناك آراء مختلفة ومتباينة عن مدى نجاح هذه المدينة الجديدة و نجاح تخطيطها الحضري، فأغلبية السكان غير راضون عن أوضاعهم ويحثون دوما عن مختلف الذرائع للتعبير عن سخطهم .(بن ميسي احسن، بناني نرجس، اجراوي وهيبة، 2017)

1-7- مدينة انجزت قبل مرسوم المدن الجديدة:(بن ميسي احسن، بناني نرجس، اجراوي وهيبة، 2017)

أنجزت المدينة الجديدة علي منجلي لإيواء الفائض من السكان من المدينة الأم وكذلك إسكان السكنات التي تعرضت للسقوط وخاصة منازل المدينة القديمة أكثر من 1200 عائلة حولت إلى المدينة الجديدة.

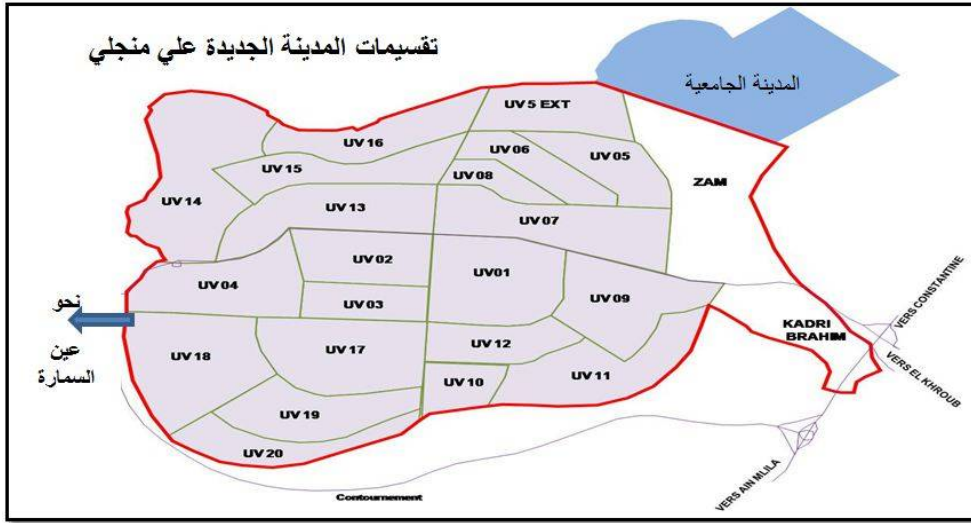
حل إشكالية البيوت القصديرية ضمن برنامج القضاء على السكن العشوائي وذلك منذ سنة 2000، هذه العملية تمت بسرعة كبيرة وفي ظرف وجيز تحت ضغط سكاني رهيب.

لقد كان أول قرار لتعمير المدينة هو انجاز 14.500 مسكن ضمن برنامج القضاء على أزمة السكن في مدينة قسنطينة وذلك سنة 1988. وبعد صدور مرسوم المدينة الجديدة سنة 2002

2-7- تقسيمات المدينة الجديدة علي منجلي: (المصلحة التقنية لبلدية قسنطينة ، 2017)

إن المدينة مقسمة إلى عشرين وحدة جوارية حسب المخطط رقم 02 و خمسة أحياء يتكون كل منها من أربع إلى خمس وحدات جوارية ، هذه الكتل المبنية يقدر عدد سكانها ما بين 12000-15000 نسمة ، وهي عبارة عن مجموعة عمارات متباعدة توفر إمكانية أكبر وأسرع للتواصل من خلال تعدد مسارات الحركة واختلافها الأمر الذي يزيد من النفاذية البصرية والفصل بين المسارات

مخطط رقم 02: تقسيما المدينة الجديدة علي منجلي



المصدر: مخطط التهيئة و التعمير لولاية قسنطينة 2010.

3-7- التسيير الحضري لمدينة علي منجلي:

مع تسليم أولى المشاريع المنجزة نهاية سنة 1998 و بداية سنة 1999 طرح مشكل التسيير الحضري للمدينة والتي تم انجازها وتسييرها على شاکلة المناطق السكنية الحضرية الجديدة (ZHUN) فقد تولت مؤسسة البريد والمواصلات انجاز وتسيير شبكات الهاتف كما تم ايكال تسيير شبكات مياه الشرب والصرف الصحي إلى الديوان الوطني للتطهير إضافة إلى شركة الجزائرية للمياه أما البلدية فقد تولت تسيير الفضاءات العمومية والطرق والإنارة والنفايات واستلمت المدينة أولى التجهيزات الحضرية سنة 2000 والتي هي عبارة عن مرافق جوارية كما

تعززت سنة 2001 بإنجاز مجمع إداري يضم مختلف الإدارات والمصالح المكلفة بتسيير الشأن العام للمدينة.^[17]

4-7- نتائج التخطيط الحضري للمدينة الجديدة:

باعتبار الهدف الرئيسي لنشوء المدينة الجديدة علي منجلي القضاء على مشكل السكن و حل مشكل السكن القصديري " الرؤية السياسية" واعتماد طابع الحداثة والتحضر في المدينة الجديدة " الرؤية العمرانية" خلق تنافر بين سكان الوحدات الجوارية(UV) 14 و 16، حيث ارتبط سكان الوحدات الجوارية عاطفيا بقضية انتمائهم إلى حي عتيق خاصة سكان المدينة القديمة (سوقة ورحبة الصوف الذي تم ترحيلهم منه بسبب سوء حالة المنازل). و خلق نوع من تريف المدن لعدم انسجام السكان لحداثة وتطور نمط بناء المدينة مقارنة بأماكن سكنهم السابقة ، حيث لاحظنا تشوه في المظهر الخارجي للعمارات من خلال انتشار الكم الكبير للهوائيات و تعددها بالمنزل الواحد (كما توضحه الصورة7.8) وتغييرات بالمنازل الذي يتعدى تغيير هلمنمط و شكل العمارة ككل(كما هو موضح بالصورة9.10)

صورة 7: انتشار الهوائيات1

صورة 8: انتشار الهوائيات 2



المصدر: معاينة ميدانية 30 جانفي 2017

صورة 10: تعدي بنمط العمارة



صورة 9: تغيرات بالعمارة



المصدر: معاينة ميدانية 30 جانفي 2017

- الاستحواذ على بعض المساحات الخضراء القريبة من العمارات و ذلك رغبة من السكان بالاندماج بالمجال و شعورهم بالراحة من خلال غرسهم بعض النباتات او بعض الشجيرات لارتباطهم بالأرض و الاخضرار و في بعض الاحيان الاستحواذ يكون بهدف توسعة المنزل او حتى فتح محل تجاري غير مرخص، و هذا تعبير منهم لرفضهم و عدم انتماءهم لهذه الانماط الغربية عنهم و عن هويتهم و طمس كل معتقداتهم الخاصة.

صورة (11): الاستحواذ على المساحات الخضراء



المصدر: معاينة ميدانية 30 جانفي 2017

تحويل جوانب العمارات للوحات اشهارية تفسد من منظر و جمالية المدينة الجديدة و تحولها لمدينة مهملة تحتوي على ضوضاء عمرانية وعمرانية بدون اي انتماء لسكانها لتحولها من مدينة جديدة الى مدينة مريفة.

- الاستحواذ على ممر الراجلين و تحويله لتوسعة للمحل الاصلي

صورة(13.12) : تحويل جوانب العمارات



المصدر: معاينة ميدانية 30 جانفي 2017

صورة(14): الاستحواذ على ممر الراجلين



المصدر: معاينة ميدانية 30 جانفي 2017

الخاتمة

يعتبر الاهتمام بالموروث الحضاري لأية أمة مقياسا لعراقتها و صدق انتمائها إلى اسلافها إضافة إلى كونه المرآة التي تعكس ثقافة واندماج المواطن بتخطيط مدينته و باحتوائه له، تمت العديد من المحاولات من طرف الهيئات المتخصصة بالجزائر بغية الوصول لتخطيط مستدام يمزج بين الأصالة و المعاصرة، إلا أن النتائج المتوصل لها كل محاولة من المحاولات جاءت عكس المبتغى من كل تخطيطها وتوقعاتها وبرامجها ولعل المثال الحي على ذلك ما يحصل بالمدينة الجديدة -علي منجلي- من محاولة للسعي وراء العصرية والحداثة إلا أن الواقع و تطبيقه اختلف تماما وأفضى نتائج لم يتقبلها السكان. حيث حول التخطيط الحضري المعاصر لمدينة علي منجلي من مدينة جديدة الى مدينة تظهر فيها ملامح البدوة (مُريفة) ، و هذا بسبب التطبيق غير العقلاني للمخططات التي لم تكيف أو تعدل لتتلاءم مع ممارسات وثقافة المجتمع وواقعه المعاش ، لتتحول لفوضى معمارية وعمرانية تجمع مزيجا غير متجانس يبتعد كليا عن مفاهيم الحداثة والعصرية ، مفرغ من خصائص وابعاد تراثية تعكس الطابع المحلي، باتت -علي منجلي- المدينة الجديدة التي حاولت عناق الحداثة والعصرية بهذه الملامح مشوهة المشهد صعبة القراءة هجينة الهوية..

في حين بقيت مدينة غرداية محافظة على هويتها ، محافظة على طابعها المعماري-العمراني الذي يتغذى مع الزمان وباستمرار في المكان من القيم الأصيلة للمجتمع الغرداوي الذي يشكل جزءا من المجتمع الصحراوي يتميز بممارساته الاجتماعية الثقافية التي انتجت تقاليد عمرانية معمارية لا زالت تنبض بالحياة.

وعليه يمكننا القول أن التخطيط الحضري المعاصر الذي تعيشه المدن الجزائرية بصفة عامة مزيج من المحاولات المختلفة حسب كل منطقة من خلال درجة ثقافة و جهد و سعي المسؤولين بها لم يحقق المبتغى مما انعكس سلبا على المشهد الحضري لمدننا وبات يؤرق المستعمل في احتشائها لا سيما منها شريحة الطفولة التي تعاني النسيان في تصور مجالاتها في وعاء هذه المدن.

- الاقتراحات و التوصيات:

- ضرورة تحقيق التخطيط الحضري المعاصر المستدام المحلي
- المحافظة على الهوية العمرانية و المعمارية من خلال اشارك المواطنين بالتخطيط الحضري

- خلق مخططات محلية تعكس القيم الحضارية و مكانة المدن التاريخية
- تطبيق العصرية من خلال دمج القديم بوسائل حديثة تقدم لمسة خاصة و فريدة في تطبيق مخططات مستنسخة من مدن اخرى.
- تأصيل دور التخطيط الحضري المعاصر على واقع الهوية العمرانية و المحافظة على هويتنا المحلية المكتسبة من القدم و محاولة دفع التخطيط الحضري بتطويرها و تطبيقها على مناطق ذو خصائص مشابهة لها.

المراجع

- البس احمد عبد الحميد، 2014، اتجاهات عمارة ما بعد الحداثة و اثرها في الحركة المعمارية بالمملكة العربية السعودية ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى، ص15.
- المسبدي عبد الوهاب المسبدي و التريكي فتحي التريكي، 2003، الحداثة و ما بعد الحداثة، آفاق معرفة معتمدة، دار الفكر، ص 6.
- النجدي، حازم راشد، 2001، الافكار المعمارية و صيغ التعبير، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت عدد 263، ص24.
- المصلحة التقنية لبلدية قسنطينة ، 2017، تقرير عام لقسنطينة
- بدران بن لحسن ، 2007، العولمة ومنعطف التجديد، مجلة الإحياء، العدد 21، ص 356
- بهنسي عفيف، 1997، من الحداثة الى ما بعد الحداثة في الفن، دار الكتاب، دمشق، الطبعة الاولى، ص94.
- بن ميسي احسن، بناني نرجس، اجراوي وهيبة، 2017 اكتوبر، المدن النكية – نموذج لمدينة معاصرة ، أين تقع مدينة علي منجلي من هذا النموذج، عميرش حمزة، لليومالدراسي حول: " المدينة الجديدة علي منجلي"، جامعة قسنطينة3، الجزائر
- بناني نرجس، مقابلة شفوية مع مدير بلدية قسنطينة نجيب عراب 10/ 12/ 2017.
- بهنسي عفيف، 1997، من الحداثة الى ما بعد الحداثة في الفن،، دار الكتاب، دمشق، ص11.
- دينيس شارب، 1995، العمارة في القرن العشرين، دار ابن كثير، بيروت.
- خليل أسامة، 2011، التوافق العمراني بين الاحياء السكنية الجديدة و المنطقة التراثية - حالة دراسية: مدينة الدرية، مجلة جامعة الملك سعود – فرع العمارة و التخطيط، العدد 29، ص 43.
- جلال عباده، ابريل 2006، المشهد المعماري العربي المعاصر بتأملات حاضرة وروى مستقبلية، ورقة مقدمة إلى منتدى جده الدولي للعمران "التحضر والاستدامة في عالم متغير"، جده، ص31.
- مديرية السكن لولاية قسنطينة ، نوفمبر 2014، تقرير السكن بمدينة قسنطينة.
- مديرية السياحة لولاية قسنطينة، 2017، تقرير المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية.